ليتفكروا

عوائق النهضة: الاغتراب الزماني والمكاني

د. بدران بن الحسن*

موضوعنا في هذا المقال هو الحديث عن حالة من الوعي السلبي التي تصحبها حالة شعورية تجعل من الانسان فردا أو مجموعا يشعر بالانفصال عن واقعه، وكره هذا الواقع، والهروب منه، ومحاولة اللجوء شعوريا وفكريا إلى واقع متخيل أو إلى واقع موجود لكنه موجود في الماضي أو في مكان وسياق اجتماعي وثقافي وحضاري مختلف.

وهذا الوعي السلبي وهذا الشعور بالانفصال يمثل عائقا خطيرا من عوائق تحقيق نهضتنا الحضارية التي تسعى إليها أمتنا. وهو ما يسمى بالاغتراب، زمانيا ومكانيا. وهو مصطلح إستعاره ماركس، ولكنه انتقل بعد ذلك إلى علم النفس وإلى الفكر الاجتماعي عموما، على ايدي كثير من رواد علم النفس الاجتماعي والفلاسفة والمفكرين في العالم.

وحالة الاغتراب لدى قطاع كبير من أبناء امتنا وبناتها، تجعلهم يشعرون بفقدان القوة، وفقدان المعنى، والعزلة، وعدم المعيارية، والغربة عن الذات، مما يدفعهم إلى الهامشية في الحضور وفي المشاركة في هموم وآمال مجتمعهم، بل ويؤدي بهم ذلك على نكران المجتمع، وعدم الشعور بالاندماج فيه، وبعدم وجود قيم مشتركة بينه وبين محيطه الاجتماعي، وهو ما يحمل معاني حالة من الشعور بالغربة أو العزلة عن المجتمع أو بين الأفراد أنفسهم، مما يؤدي إلى اضطراب في المرجعية، واضطراب في الشعور بالانتماء، واضطراب في تحديد كيفية الاسهام في النشاط الاجتماعي بإيجابية، واضطراب في تحديد العلاقة مع الانتماء الثقافي والحضاري للمجتمع، وفي تحديد العلاقة مع الكيانات الحضارية الأخرى.

وهذا الاغتراب في الحقيقة هو في ذاته ثمرة تجاهل متغيرات الزمان والمكان، وتحولات التاريخ، وتجاهل او عدم إدراك للثابت والمتغير في مرجعيتنا وفي واقعنا، وفقدان لتصور صحيح للذات وللآخر وللزمن الاجتماعي الذي يعيشه الانسان.

ولعل هذا ما نراه في مشاريعنا الإصلاحية، والتجديدية، وجهود الخروج من التخلف، وتحقيق نهضة حضارية لشعوبنا، إذ نرى أبناء أمتنا سواء منهم الأصاليون أو الحداثيون يتجاهل كثير منهم واقع أمتهم كنقطة انطلاق أساسية لبناء مشروعيهما النهضويين، إذ ترى طائفة من الأصاليين -بتعبير الدكتور مولود قاسم رحمه الله- قد عادت بأفكارها إلى الماضي للتشبث به والدفاع عنه من دون تمحيص ولا نقد، ولأذ الحداثيون بمذاهب فكرية وتوجهات غربية لها واقعها الخاص الذي نشأت فيه. فنشأ عن الفريقين العظيمين من الأمة اغتراب زماني ومكاني، أدى إلى التلفيق والفوضى أحيانا، وإلى اصطدام الجهود أحايين أخرى، مما عرقل السير في طريق النهوض.

وهذه ليس دعوة على تجاهل الماضي، وإنكار منجزاته، ولا دعوة إلى الانعزال عن تجارب الأمم الأخرى وإنكارها، ولكن هي دعوة إلى «توطين» الذات على ألا تنكر مرجعيتها، ولا تنكر زمانها. فعند كثير من الشعوب التي سلكت طريق الحضارة والتنمية في عالمنا المعاصر كان التاريخ مصدر إلهام لها، وكانت تجارب الأمم الأخرى مصدر خبرة مفيدة دون الوقوع في عقدة النقص. بينما بقينا نحن نراوح المكان والزمان، فلم نستطع أخذ العبرة من التاريخ، ولا تخلصنا من عقدة النقص والدونية تجاه الغرب تحديدا، وغيره من الأمم بشكل عام. ولم نتعلم من تجارب الأمم التي اختارت طريقا ثالثا. ولنا في هذا أمثلة كثيرة؛ كوريا الجنوبية، واليابان، وتركيا، وسنغافورة، وماليزيا، وغيرها.

لقد صار التاريخ عبئا علينا، بل وقعنا في الاغتراب التاريخي، واستوردنا منه أفكارا «ميتة» -بتعبير الأستاذ مالك بن نبي- بعثنا فيها الحياة، فأوقعتنا في حروب التاريخ، بدل التوجه إلى المستقبل (مشكلة الأفكار، ص152-146). كما وقعنا في عقدة نقص تجاه شعوب سبقتنا في التنمية والتحضر، فصرنا نجلد أنفسنا، وننكر أصلنا. فصار قطاع منا يعيش استحضار التاريخ، بدل استحضار القيم المنتجة له. وصرنا نعيش على امل أن يظهر لنا «ثوب عمر المرقع»، بدل أن نبني رجالا ونساء يحملون قيم عمر وعدل عمر. ومن جهة أخرى، صرنا -كما يقول طه عبد الرحمن- مغتربين في زمان غيرنا وفي جغرافية غيرنا، نفكر كما يفكر، ونستشكل ما يستشكل، وننتج من داخل صندوق حضارته وافكاره، ولكن باعتبارنا مقلدة لا مبدعين، فتم «تكديس» منتجات الغرب التي أنتجت في سياقه الاجتماعي والحضاري والثقافي، بل والاقتصادي، كما «نكدس» أفكاره وتوجهاته، التي تجاوزها هو، وانتقل إلى غيرها بعد ان مارس عليها النقد.

إن هذا الاضطراب العام الذي أصاب الوعي المسلم والضمير المسلم الحديث، التائه بين حلين، ليبعث على الأسى. وقد لاحظ مالك بن نبي هذا منذ عقود، ويبدو ان الحال مازال على حاله. يقول بن نبي: «ويبدو أن رجال الإصلاح في كثير من المجالات يبحثون عن حل ثالث أكثر توافقا مع فكرة الإسلام ومع ضرورات العصر، بيد أن هذا البحث في ذاته يطفح بألوان التردد والمعاناة. ولا شك أن اضطراب أقطاب الفكر المسلمين يحدث وقفة في تطور الأفكار، إذ ليس في وسع المجتمع الإسلامي أن يعود إلى الوراء، وإلى مرحلة ما بعد الموحدين، أو أن يطفر إلى الأمام طفرة عمياء في حركته (نحو الغرب). وهكذا تشعرنا حالة العالم الإسلامي بأنه يقف في منطقة (حرام) في التاريخ، ما بين فوضى ما بعد الموحدين والنظام الغربي» (وجهة العالم الإسلامي، ص121).

وكلا الوضعين مهلك، ويقود إلى الاغتراب في التاريخ وخوض معاركه، أو الاغتراب في حاضر غيرنا والوقوع في عقدة النقص نحو الغالب المهيمن على مجريات الحاضر اليوم، والوقوع في أسر مقولاته، ومنجزاته، ونظرته للكون والحياة، وطريقة عيشه.

وهذا ما ينبغي تحرير وعي المسلم منه، ليخرج من اغترابه، ويمارس الحضور بين الأمم والشهادة عليهم.

*مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية/ جامعة قطر

مصادر العلوم!!!

أ.د: عبد الحليم قابة

يحتاج طالب العلم من بين ما يحتاج إليه: دراسة علم أصول التشريع (أصول الفقه) من مصادره المعتمدة وعلى أئمته الثقات، فإذا فعل ذلك فلن يستشكل كثيرا من الإشكالات المطروحة في هذه الفضاءات، وسيجد بسهولة ما يطلبه من إجابات، وسيدرك عظمة هذا الدين، وعظيم قدر علمائنا في خدمته.

وللشاك والمفتون أقول: حسبنا للبيان قوله تعالى {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا} وقوله صلى الله عليه وسلم: [يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ].

والسؤال: من هم الذين يستنبطونه منهم؟ ومن هم العدول الذين يؤدون هذا الدور العظيم؟

أما إذا لم يدرس هذا العلم أصلا ولم يتعمّق في بعض تفاصيله؛ فهذا لا تنفع معه الإجابات المختصرة، ولا المنشورات الفيسبوكية العامة أو مجهولة المصدر.

وإذا كان ممّن لم يدرسها، ويرى نفسه ليس بحاجة إليها؛ ويراها من العلوم التي عقدت طريق التعلم؛ فهذا -للأسف- لا يُفرّق بين العلم والجهل، فهذا يُنصح بالتعلم والتواضع لأهل العلم؛ لعلهم ينيرون له طريق الفهم والخروج من دائرة الجهل.

أما إذا كان يرى نفسه أعلم من العلماء والفقهاء والأصوليين جميعا، أو يرى أن مصادر العلم الشرعي: المستشرقون، والعلمانيون، والحداثيون، وعقله هو الذي لا يسلم من الخرف كغيره من الناس، وفهمه الذي لا يسلم من القصور كغيره من الناس؛ فهذا يحتاج إلى رسكلة وإعادة بناء من جديد.

ولا أظنك -أيها المتابع- واحدا منهم، إن شاء الله. فإن كنت واحدا من هذه الأصناف؛ فاستدرك حالك قبل فوات الأوان، واسأل مَن هم أعلم منك، فلا ضير في ذلك، أو اتهم معارفك وطالع من جديد، واقرأ لمن نفرك منهم المبطلون بمبالغاتهم وحيلهم؛ خوفا أن تستكشف مغالطاتهم وتلاعباتهم.

واعلم أن دين الله ليس لعبةً بيد من لم يعرف خوف الله إلى قلبه سبيلا، ولم تجد دمعة من خشية الله إلى الخروج من عينيه سبيلا، ولم يلقَ نورُ العلم إلى قلبه سبيلا؛ بسبب سوء الظن بالعلماء والأولياء، وكثرة المعاصي، والغفلة عن الذكر، والتقصير في مجالسة أهل العلم أو مطالعة الكتب الأمهات، أو بسبب الإصابة بالعجب، والكبر، وغير ذلك من الأمراض الحاجبة التي سماها القرآن باطن الإثم {وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ}.

فإن اخترت لنفسك غير ذلك؛ فأعظم الله أجرك وأجارك في مصيبتك، ولا تلومن بعد ذلك إلا نفسك، وعند الله الملتقى، يحكم بيننا وبينك.

{الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}.

صدق الله العظيم، ومن أصدق من الله حديثا

موقف و خاطرة

الشيخ نور الدين رزيق*

عمر الفاروق والحوكمة «Governance»

الحوكمة علم متجذر في قيم وأخلاق الحضارات الإنسانية التي حرّمت الظلم وعملت على إحقاق العدل وحاربت الفساد ومنها هذه الأمثلة الواقعية لا الخيالية من جمهورية أفلاطون كما يقال، حيث بمواقف بسيطة أخرج لنا راعي الغنم نموذجا للحوكمة الرشيدة ونظام حكم مثالي، إذ منع عمر أهله من الاستفادة من المرافق العامة التي رصدتها الدولة لفئة من الناس، خوفا من أن يحابي أهله بها.

أخرج سعيد بن منصور. ومن طريقه البيهقي في السنن الكبير 6/147، وابن عساكر في تاريخه 44/ 326 وابن رشد القرطبي في كتابه البيان والتحصيل (305/18) عن مالك بن أنس:

«يخرج عمر بن الخطاب يوماً إلى السوق، فيرى إبلاً سماناً، فيسأل عمر: إبل من هذه؟

فيقول الناس: إبل عبد الله بن عمر، فينتفض عمر وكأن القيامة قد قامت!

ويقول: عبد الله بن عمر بخ بخ يا ابن أمير المؤمنين! ائتوني به.

ويأتي عبد الله على الفور ليقف بين يدي عمر رضي الله عنه، فيقول عمر بن الخطاب لولده عبد الله: ما هذه الإبل يا عبد الله ؟!

فيقول: يا أمير المؤمنين! إنها إبلي اشتريتها بخالص مالي، وكانت إبلا هزيلة، فأرسلت بها إلى المرعى- لكي تكبر وتسمن لأتاجر فيها، وأبتغي ما يبتغيه المسلمون.

قال عمر: نعم وإذا رآها الناس قالوا: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين، واسقوا إبل ابن أمير المؤمنين، فتسمن إبلك ويربو ربحك يا ابن أمير المؤمنين!

قال عبد الله: نعم يا أبت

قال: اذهب وبع هذه الإبل الآن، وخذ رأس مالك فقط، ورد الربح إلى بيت مال المسلمين»

هل يوجد حاكم أو سلطان على وجه الأرض ماضيا وحاضرا، تخرج من أرقى الجامعات والمعاهد حاملا الشهادات العلمية العليا في التسيير والحوكمة وصل إلى هذا المستوى، لا والله، سّر ذلك مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم التي أخذت اعتمادها من فوق سبع سماوات.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.